القصيدة

قصيدة أم المؤمنين
خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها
قصيدة رائية من بحر الطويل في (٢٥٠) بيتًا

بِنْتُ مَكَّةَ التَّاجِرَهْ

١ـ خَدِيجَةُ بِالْأَخْلَاقِ تَعْظُمُ تُؤْسَرُ ... وَلَا إِنَّمَا أَخْلَاقُ أَحْمَدَ تَبْهَرُ

٢ـ وَلَا مِرَّةً قَدْ أَكْبَرَتْ طُهْرَ خُلْقِهِ ... وَيَعْرِفُ قَدْرَ الْجَوْهَرِ الْجَوْهَرُ (١)

٣ـ لَقَدْ ذَاعَ مِنْ أَرْجَاءِ مَكَّةَ أَنَّهُ ... أَمِينٌ وَهَذَا نَعْتُهُ حِينَ يُذْكَرُ

٤ـ وَذَيْكَ نَعْتٌ لَمْ يُشَارِكْهُ غَيْرُهُ ... بِهِ أَبَدًا وَالدَّهْرُ ذَيْكَ يُذَكِّرُ

٥ـ وَمَنْ مِثْلُ طَهَ كَانَ رَبَّاهُ رَبُّهُ ... بِأَعْيُنِهِ وَالْمُصْطَفَى ذَاكَ يَشْكُرُ

٦ـ تَعَاهُدُ مَلِيكِ الْعَرْشِ مِنْ قَبْلِ مَوْلِدٍ ... وَذَا أُمُّهُ لِلْخَيْرِ حَلَّ لِتَنْشُرَ

٧ـ وَمُنْ وُلِدَ الْمُخْتَارُ فَالْكَوْنُ كُلُّهُ ... مُنِيرٌ وَهَذَا وَجْهُ طَهَ مُنَوِّرُ

٨ـ وَقَدْ نَالَ خَيْرًا كُلُّ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ ... حَلِيمَةُ قَدْ جَاءَتْ هَا تَتَذَكَّرُ (٢)

---

(١) كانت تسمى خديجة في الجاهلية الطاهرة. تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣٤٢

(٢) حليمة السعدية: مرضعته صلى الله عليه وسلم. السيرة النبوية ١/ ١٦١ ونور اليقين ص ١١

٩- لَقَدْ قَلَّ مِنْ صَدْرِهَا لَبَنُ ثَرْيِهَا ، وَذَا طِفْلُهَا مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ يَجْأَرُ (١)

١٠- وَمِنْ ضَمَّتِ الْمُغْتَارَةُ لِصَدْرِهَا ، إِذَا لَبَنُ الْغَيْثِ قَدْ بَاتَ يَصْدِرُ

١١- وَمِنْ سَبَّحٍ قَدْ نَامَ كُلَّ بِلَيْلِهِ ، وَقَدْ لَاحَ كُلَّ مِنْهُمَا بَاتَ يَكْبِرُ

١٢- وَفِي سَفَرٍ لَاحَتْ أَتَانٌ ضَعِيفَةٌ ، خَلِيفَةُ تَرْقَاهَا لِذَا تَتَأَخَّرُ (٢)

١٣- وَإِذْ حَمَلَتْ طَهَ لِتَسْبِقَ رَكْبَهَا ، أَتَيْكَ أَتَانٌ أَمْ جَوَادٌ وَأَبْجَرُ (٣)

١٤- بِكُلِّ مَكَانٍ شَاؤُهَا شَاءَ رَعْيَهُ ، يَرَى الزَّرْعَ رَيَّانًا وَهَا هُوَ أَخْضَرُ

١٥- وَذِيكَ زَرْعٌ خَصَّ مَرْعَى لِشَائِهَا ، بِكُلِّ مَكَانٍ ذِيكَ الزَّرْعُ يَكْثُرُ

١٦- وَكُلُّ الَّذِي مَا قَدْ جَدَّ طِفْلٌ مُبَارَكٌ ، بِكُلِّ مَكَانٍ جَاءَ فَالْخَيْرُ يُمْطِرُ

١٧- وَطَهَ يَتِيمٌ حَنَّنَ اللهُ جَدَّهُ ، عَلَيْهِ فَقَلْبُ الْجَدِّ بِالْحُبِّ يَقْطُرُ

١٨- وَمِنْ بَعْدِ مَوْتِ الْجَدِّ فَالْعَمُّ كَافِلٌ ، تَقِلِ الْعَمُّ إِلَّا وَالِدَيْنِ يُخَبِّرُ

١٩- أَبُو طَالِبٍ عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ، شَقِيقُ لِعَبْدِ اللهِ فِي النَّسْبِ يُقْبَرُ (٤)

---

(١) يجأر : يرفع صوته بالبكاء .

(٢) أتان : حمارة . ترقاها : تركبها . لذا تتأخر : عن الركب .

(٣) أبجر : فرس كبير البطن .

(٤) تعرّف عبد الله والد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المدينة المنوّرة . وانظر فيها نعرّف اليقيناصب ١ .

٢٠- وَرَبُّكَ يَرْعَى الْمُصْطَفَى عَنْ حَيَاتِهِ ، وَيَصْرِفُ عَنْهُ كُلَّ شَرٍّ يُكَدِّرُ

٢١- وَمَوْلَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ يَرْعَاهُ يَافِعًا (١) ، فَسِيرَتُهُ وَقْتَ الشَّبِيبَةِ تَظْهَرُ

٢٢- وَفِي كُلِّ وَقْتٍ عَيْنُ مَوْلَاهُ قَدْ رَعَتْ ، وَصَاحَ مِنْ بَطْحَاءِ مَكَّةَ نَيِّرُ

٢٣- وَيَمْلَأُ طَهَ كُلَّ عَيْنٍ مَهَابَةً ، وَفِي كُلِّ قَلْبٍ حَظُّهُ يَتَصَدَّرُ

٢٤- أَلَيْسَ مَلِيكُ الْعَرْشِ صَيَّاهُ لِلنَّبِيِّ ، يَكُونَ بِهِ خَتْمُ النُّبُوَّةِ يُشْهَرُ

٢٥- وَنَعْتُ أَمِينٍ خَصَّهُ دُونَ غَيْرِهِ ، إِلَى الْخَيْرِ يَأْتِي فِي غَدٍ لَمْ يُؤَخَّرُ

٢٦- وَأَيُّ بِلَادٍ بَاتَ طَهَ أَمِينُهَا ، بِلَادٌ بِهَا بَيْتُ الْمَلِيكِ وَمَشْعَرُ

٢٧- أَرَاكَ تَنُكُّ خَصَّ أَحْمَدَ وَحْدَهُ ، وَقَدْ نَالَهُ وَقْتَ الشَّبِيبَةِ تُبْصَرُ

٢٨- وَمَا قَالَ أُفٍّ حِينَمَا النَّاسُ كُلُّهُمْ ، بِكُلِّ أَمَانِيٍّ لِأَحْمَدَ تُحْضِرُ (٢)

٢٩- وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ بِفَقْرِ مُحَمَّدٍ ، وَلَكِنَّهُ بِالْفَقْرِ لَا يَتَأَثَّرُ

٣٠- فَإِنَّ لَدَيْهِ هِمَّةً خَصَّهُ بِهَا ، مَلِيكٌ بِهَا الدُّنْيَا قَرِيبًا سَتَعْمُرُ (٣)

---

(١) يافع : شارف الاحتلام.

(٢) أُفٍّ : كلمة تضجر وتكره.

(٣) ستعمر : ستثبت.

٣١- وخصّتْهُ من الخيرِ أبقتْهُ وحدَهُ ... أمينًا به بطحاءُ مكّةَ تفخرُ

٣٢- ويعرفُ صنائعَهُ وعدوُّهُ ... وأكبرُ أعداءٍ له ليسَ ينكرُ

٣٣- وأرشدَهُ المولى إلى الخيرِ كلِّهِ ... وأبعدَ عنهُ كلَّ شرٍّ يؤثّرُ

٣٤- وبغّضَ ربُّ العرشِ أصنامَهُمْ لهُ ... فعنها فؤادُهُ منهُ دومًا ينفّرُ

٣٥- ومِنْ كلِّ ما يؤذي المروءةَ صانَهُ ... فيُحجَبُ عن أُذنيهِ طبلٌ ومِزمَرُ (١)

٣٦- ولو همَّ يُحميهِ المليكُ بنومةٍ ... ويوقظُهُ حرُّ من الشمسِ تزفرُ (٢)

٣٧- وأكرمَهُ الرحمنُ في كلِّ مرّةٍ ... برَضعي لِضأنٍ وهي بالضعفِ تُشهرُ

٣٨- وكانَ رعاها في بوادي حليمةٍ ... حليمةُ مَنْ كانتْ لأحمدَ تظأرُ (٣)

٣٩- ومِنْ بعدُ يرعاها بمكّةَ إنّما ... لأنفسِ شاءٍ مَنْ رعاها ليَمْهرُ (٤)

٤٠- وكلُّ نبيٍّ صانَهُ اللهُ رعيةً ... لضأنٍ ومِنهُمْ أحمدُ المتخيّرُ

٤١- طبيعةُ ضعفٍ أنْ تولّدَ رحمةً ... بقلبٍ فليسَ الناسُ مِنْ بعدُ تنفرُ

---

(١) المِزمر: العود الذي يُضرَبُ به، وهو أحد آلات الطرب.

(٢) الزفير: إخراجُ النفَسِ بعد مدّه. وهو خلاف الشهيق.

(٣) البوادي: جمع بادية، فضاء واسع فيه المرعى والماء. تظأر: تعطف على غير ولدها.

(٤) يمهر، بضمّ الهاء: يصبح ماهرًا.

٤٢- وَبَيْعَتُكَ رَبُّ الْعَرْشِ أَحْمَدُ رَحْمَةٌ ، وَرَحْمَتُهُ لَيْسَتْ عَلَى النَّاسِ تُقْصَرُ

٤٣- وَلَكِنَّهَا تَأْتِي الْخَلَائِقَ كُلَّهَا ، وَتَأْتِي الَّذِي بِاللهِ قَدْ بَاتَ يَكْفُرُ

٤٤- وَتَأْتِي بَعِيدًا جَاءَ أَحْمَدُ شَاكِيًا ، وَدَمْعَتُهُ فِي خَدِّهِ تَتَحَدَّرُ

٤٥- وَيُنْصِفُ طَهَ كُلَّ مَنْ جَاءَ شَاكِيًا ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ مِنْ ذَا يُنْكِرُ

٤٦- وَرَحْمَةُ طَهَ الْخَلْقَ سِرُّ انْجِذَابِهِمْ ، إِلَيْهِ وَهَذَا حُبُّ أَحْمَدَ يَغْمُرُ

٤٧- عَلَيْكَ صَلَاةُ اللهِ يَا عَلَمَ الْهُدَى ، عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ يَا ذَا الْمُطَهَّرُ

٤٨- مَكَارِمُ أَخْلَاقٍ بِأَحْمَدَ تَمَّمَتْ ، وَكَانَ بِهَا الرُّسْلُ الْأَكَارِمُ تَمَّرُوا

٤٩- مَكَارِمُ أَخْلَاقٍ بِهَا الْأَرْضُ تُعْمَرُ ، يَجِيءُ بِهَا الرُّسْلُ الْكِرَامُ تُخَيَّرُوا

٥٠- مَكَارِمُ أَخْلَاقٍ بِهَا الْأَرْضُ تُعْمَرُ ، تَعُودُ إِلَيْهِمْ وَجْهُ كُلٍّ تُصَيِّرُ

٥١- وَخَاتَمُ كُلِّ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٌ ، عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ مَا الزَّمْرُ يُثْمِرُ

٥٢- وَسِيرَةُ طَهَ قَدْ تَخَطَّتْ بِلَادَهُ ، أَلَا إِنَّهَا مِسْكٌ ذَكِيٌّ وَعَنْبَرُ (١)

---

(١) ذكيّ : شديد الرّائحة . عنبر : نوع من الطّيب يُستخرج من حوت .

٥٣- وكلُّ غريبٍ حقُّهُ عندَ ساكنٍ ... بمكّةَ يدري أنَّ أحمدَ ينصرُ

٥٤- وإعطاءُ كلٍّ حقَّهُ ذاكَ مبدأٌ ... لحلفِ فضولٍ أهلُ مكّةَ قدّروا (١)

٥٥- بدا ربُّ جدعانٍ يتيمٌ وأحمدُ ... ليشهدَهُ طفلاً وبالحلفِ يُخبَرُ (٢)

٥٦- وأحمدُ خيرُ الخلقِ طبقٌ مبدأٌ ... لحلفِ فضولٍ فهوَ لا يتأخّرُ

٥٧- وما غابَ وجهُ المصطفى كلَّ مرّةٍ ... يُعيدُ حقوقاً بعدَ إذ هيَ تُهدَرُ

٥٨- وما كانَ طهَ عندَهُ أيُّ سلطةٍ ... سوى أنّهُ ذاكَ الأمينُ المُقدَّرُ

٥٩- ولفظُ أمينٍ خصَّ أحمدَ وحدَهُ ... ونعتُ أمينٍ للرقيِّ مؤشّرُ

٦٠- ونعتُ أمينٍ كانَ جاءَ خديجةً ... ونعتُ أمينٍ بالتجارةِ يؤثَرُ (٣)

٦١- خديجةُ تحتاجُ الأمينَ لزرعِها ... بأموالِها في أرضِ ربّكَ تتجرُ (٤)

٦٢- خديجةُ تستدعي الأمينَ لبيتِها ... لتسمعَ منهُ بعضَ ما عنهُ يؤثَرُ (٥)

---

(١) حلف الفضول بمكة شهده محمد صلى الله عليه وسلم صبيا كان صغيرا.

(٢) يُخبَر: يُستر. وانظر عن حلف الفضول نور اليقين ص ١٧ وانظر الأعلام ٤/٧٦

(٣) يؤثر: يختار ويفضل ويُختار.

(٤) تتجر: تقوم بعملية التجارة والبيع والشراء.

(٥) يؤثر: يُروى.

٦٣- ولمّا رأى طه خديجة أقبلت .. فقد غضّ طرفاً وهو في الأرض ينظر

٦٤- بما يثبت الخُلق خصّته ربّه به .. ليرتو إلى أرضٍ أو إلى الجوّ يبحر

٦٥- وكلّ سؤالٍ أرسلته خديجة .. يُجيب عليه هكذا الثوب ينشر (١)

٦٦- لقد سمعت خير الكلام خديجة .. وأحمد ممن فيه الجواهر تُنثر

٦٧- وما ملكت في ذيك الوقت حرّة .. سوى الوعد بالمال المضاعف يُؤجر

٦٨- وما دار في ذهن العظيمين لحظة .. بأنّ زواجاً منهما سيقرّر

٦٩- وذاك زواج ليس في الأرض مثله .. به ملّة الإسلام في الأرض تُنشر

٧٠- وصوّرك ربّ العرش إذ شاء شاءه .. فجيء الذي في الكون يجري مقدّر

٧١- خديجة أعطت كلّ مالٍ تجارةٍ .. لطه وطه بالأمانة أجدر

٧٢- وكان له يا خادم ذو أمانةٍ .. لقد كلّفته بمشاهد يحضر (٢)

٧٣- وخادمها قد كان لبّى نداءها .. وميسرة كالصقر قد بات ينظر

---

(١) الجواب على قدر السؤال ، كما يُفصّل الثوب على صاحبه .

(٢) اسم خادم خديجة ميسرة .

٧٤ـ وشتاءَ مليكُ العرشِ بالشامِ رحلةٌ ... بصيفٍ إلى شامٍ دواماً تقرّرُ

٧٥ـ ورحلةُ شامٍ كانَ ثمّةَ أختُها ... شتاءً إلى صنعاءَ بالألفِ تشهرُ

٧٦ـ شتاءً بصنعاءَ العزيزةِ رائعٌ ... وصيفٌ بشامٍ مثلُهُ ليسَ يُذكرُ

٧٧ـ جمالٌ بصيفٍ أو شتاءٍ لحافزٌ ... إلى رحلةٍ فيها الأمانُ يُسيطرُ

٧٨ـ قُريشٌ مليكُ العرشِ بالأمنِ خصّها ... وإطعامها فالخيرُ فيها لأوفرُ

٧٩ـ وأعظمُ ما المولى به خصّ عبدَهُ ... أمانٌ وإطعامٌ من الجوعِ يأسرُ

٨٠ـ وجيرانُ بيتِ اللهِ مولاكَ خصّهم ... بكلِّ فلا خوفٌ ولا شخصٌ يفقرُ (١)

٨١ـ وذاكَ أمانٌ ليسَ من الأرضِ مثلُهُ ... وإطعامُهم من غيرِ مكةَ يندرُ

٨٢ـ لقدْ جمعَ المولى لجيرانِ بيتِهِ ... أمانًا وإطعامًا وكلٌّ مسخّرُ

٨٣ـ ورحلةُ صيفٍ أو شتاءٍ نتيجةٌ ... لأمنٍ عليهِ وحدَهُ اللهُ يقدرُ

٨٤ـ وتلكَ قُريشٌ بعدَ خدمةِ بيتِهِم ... لرحلةِ صيفٍ أو شتاءٍ تُسيّرُ

---

(١) الفقير: من لا يملك إلا أقل القوت.

٨٥- خَدِيجَةُ مِنْهُمْ إِنَّهَا الْيَوْمَ قَدْ وَعَتْ ، أَيْضًا وَمَالٌ عِنْدَهُ الْيَوْمَ يَكْثُرُ

٨٦- وَإِنْ كَانَ ضَدَّ الْوَقْتُ ضَيْفًا فَأَحْمَدُ ، لِيَعْلَمَ أَنَّ الْعِيرَ لِلشَّامِ تَنْفِرُ

٨٧- وَأَجْمَلُ أَرْضٍ فِي الْمَصِيفِ لِشَاطِئًا ، وَصَنْعَاءُ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ لَتُبْهِرُ

٨٨- وَضَابِطُ حُسْنِ دِفْءٍ كُلٍّ بِفَضْلِهِ ، وَإِنَّ الَّذِي يَخْتَارُ كُلًّا لَيَشْعُرُ (١)

٨٩- وَأُمَّةُ عُرْبٍ تُتْقِنُ الشِّعْرَ كُلَّهُ ، إِذَا طَالَ بَحْرٌ أَوْ إِذَا الْبَحْرُ يَقْصُرُ

٩٠- وَحَرْفُ رَوِيٍّ زِينَةُ الشِّعْرِ كُلِّهِ ، وَهَذَا حُدَاءُ الْعِيرِ لِلشِّعْرِ يَنْشُرُ

٩١- وَأُمَّةُ عُرْبٍ أُمَّةُ الشِّعْرِ كُلِّهِ ، إِذَا هِيَ قَالَتْهُ وَإِذْ هِيَ تُضْمِرُ

٩٢- وَإِنْ أَضْمَرَتْ شِعْرًا لَيُظْهِرُ دَائِمًا ، وَلَوْ كَانَ فِي شَكْلِ الطَّبِيعَةِ تَسْتُرُ

٩٣- وَذَا الشِّعْرُ فِي صَيْفٍ لَيُظْهِرُ حِينَمَا ، بِلَادُ شَآمٍ وَحْدَهَا تَتَخَيَّرُ

٩٤- وَذَا الشِّعْرُ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ لَيُظْهِرُ ، بِصَنْعَاءَ حَقًّا ذِي تِهَامَةَ تُشْهِرُ (٢)

٩٥- بِكُلِّ جَمَالٍ أُمَّةُ الْعُرْبِ تُشْعِرُ ، وَتَنْطِقُ شِعْرًا بِالطَّلَاقَةِ يَقْطُرُ

---

(١) يَشْعُر : لديه شعور وإحساس .

(٢) تهامة : السهل الساحلي المنخفض المحاذي للبحر الأحمر شرقًا .

٩٦- وَمَنْ ذا الَّذي بالحُسْنِ لَيْسَ أَشَرُّ ... بِشامٍ وهذا الماءُ إذْ ذاكَ كَوْثَرُ

٩٧- وفَصْلُ شِتاءٍ في الجزيرةِ كُلُّها ... سَحابٌ وأَمْطارٌ ورَوْضٌ مُزَهِّرُ

٩٨- ودُنْياكَ فيها للجَمالِ نَصيبُهُ ... وللحَقِّ والخَيْراتِ ضَعْفٌ وأَكْثَرُ

٩٩- ومِنْ أَجْلِ هذا رُتْبَةٌ لِجَمالِنا ... عَنِ الحَقِّ والخَيْراتِ رَوْمًا تُؤَخَّرُ

١٠٠- ودُنْياكَ تَمْشي بالثَّلاثَةِ كُلِّها ... ورُتْبَةُ حَقٍّ دائِمًا تَتَصَدَّرُ

١٠١- وإنَّ بِناءَ الكَوْنِ مِنْ جِنْسِ حَقِّهِ ... فَذا تاجِرٌ فيهِ وهذا يُعَمِّرُ

١٠٢- وأَحْمَدُ خَيْرُ الخَلْقِ أَصْبَحَ تاجِرًا ... وباتَ لَدَيْهِ المالُ مِنْ كَفِّهِ يَظْهَرُ

١٠٣- ومِنْ فَضْلِ رَبِّ العَرْشِ وَظَّفَ عِلْمَهُ ... بِشامٍ فَقَدْ مازارَهُ (١) وهْوَ يَصْغُرُ

١٠٤- أَبُو طالِبٍ عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... لِيَحْمِلَهُ في رِحْلَةِ الشَّامِ تَقْصُرُ

١٠٥- أَبُو طالِبٍ يَمْضي بِقَصْدِ تِجارَةٍ ... وذي رِحْلَةٌ طَهَ بِها يَتَأَثَّرُ

١٠٦- ويَعْلَمُ طَهَ ما الَّذي شاءَ شامُهُ ... إذا شاءَ في صَيْفٍ إلى الشَّامِ يَحْضُرُ

---

(١) زار محمد وهو صغير الشام مع عمه أبي طالب لفترة قصيرة. انظر مثلا نور اليقين ج ١.

١٠٧- وَمَنْ ذَا الَّذِي قَدْ نَالَ مِثْلَ زَكَائِهِ :: عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ مَا نَارٌ تَنَوَّرُ

١٠٨- وَمَكَّةُ قَدْ كَانَتْ مَحَطَّ تِجَارَةٍ :: إِلَيْهَا تَجِيءُ الطَّيِّبَاتُ فَتُنْشَرُ

١٠٩- وَيَعْلَمُ طَهَ مَا الَّذِي الشَّامُ تَشْتَهِي :: مِنَ الْعِطْرِ لَمَّا جَاءَ شَامًا يُعَطَّرُ

١١٠- وَيَعْلَمُ أَنْوَاعَ الْبِضَاعَةِ تَشْتَهِي :: وَحَكَّةُ فِيهَا كُلُّ مَا يُتَصَوَّرُ

١١١- جَمِيعُ الَّذِي قَدْ رَاجَ فِي الشَّامِ يَنْتَقِي :: وَطَهَ بِمَا قَدْ رَاجَ فِي الشَّامِ أَخْبَرُ

١١٢- وَمَا احْتَاجَهُ سُوقٌ بِمَكَّةَ يَنْتَقِي :: وَمِنَ الشَّامِ أَنْوَاعُ الْأَثَاثِ لِتُنْجَرُ (١)

١١٣- وَإِنْ سَارَ طَهَ بِالشَّآمِ فَعِيرُهُ :: لِتَحْمِلَ مَا شَامَ بِهِ يَتَبَخْتَرُ

١١٤- وَإِنْ عَادَ مِنْ أَرْضِ الشَّآمِ فَعِيرُهُ :: لِتَحْمِلَ مَا فِي طَعْمِهِ فَاقَ سُكَّرُ (٢)

١١٥- بِلَادُ شَآمٍ بَارَكَ اللهُ أَرْضَهَا :: فَفِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ مَا لَيْسَ يُحْصَرُ

١١٦- وَبَارَكَهَا الْمَوْلَى بِإِرْسَالِ رُسْلِهِ :: بِهَا وَإِلَيْهَا وَجْهُ كُلِّ لِمُقْمِرُ (٣)

١١٧- وَأَهْلُ شَآمٍ حَرَّفُوا الْوَحْيَ جَاءَهُمْ :: فَتَوْحِيدُ رَبِّ الْعَرْشِ مَا عَادَ يُنْشَرُ

---

(١) تُنْجَر: تُصْنَع عن طريق تسوية الخشب والنجارة.
(٢) فاق سُكَّر: ما زاد سُكَّره.
(٣) وجه كلّ من المرسلين.

١١٨- ولكنه التسليك قد كان شأنهم .. ودس بوحي ما به يتفكر

١١٩- وأحمد جاء الشام قصد تجارة .. وفيها لقد كان التعين يفكر

١٢٠- ووفقه المولى فوظف كل ما .. أتاه من الخيرات تبدو وتضمر

١٢١- وحقق طه القصة جاء بأجله .. إذا جاء شاما أو من الشام يصدر (١)

١٢٢- جميع الذي أدى إلى نجح تاجر .. تبدى بطه بل وما هو أكثر (٢)

١٢٣- ويجمع كل الخير لفظ أمانة .. وفي حقل تجار بحق تقدر

١٢٤- وأحمد ألقى كل درس أمانة .. على كل من يلقاه إذ هو يعبر

١٢٥- عماد أمين صدقه حال بيعه .. وحال شراء إذا وفاه مقدر

١٢٦- وصورك قد أعطى المواصب كلها .. لطه وهذا صدقه يتصدر

١٢٧- وأكثر من يحتك بالناس تاجر .. ويشبه بحارا على فلك يبحر (٣)

١٢٨- وكلك من الأجواء صادق حقول .. وفي الناس إذ يلقاهم يتحور

---

(١) يصدر : يرجع ويعود وينصرف .

(٢) نجح : نجاح .

(٣) الفلك : السفينة .

١٢٩- وأعظمُ فضلٍ مِنْ مليكِكَ أمْنُهُ ∴ بأمنِ طريقٍ كُلُّهُمْ مُتَدَثِّرُ

١٣٠- وزيدَ فضلُ اللهِ لا ربَّ غيرُهُ ∴ بدُونِ أمانٍ كُلُّهُمْ يتعثَّرُ

١٣١- وصفا الذي القُرآنُ مِنْ بعدُ قالَهُ ∴ أمانُ طريقٍ يطوِي الوعرَ يقفرُ

١٣٢- بفضلِ مليكِ العرشِ ينجحُ أحمدُ ∴ وزيدَ بيدِهِ بالطيباتِ لتوقرُ (١)

١٣٣- طوالَ طريقٍ في ذهابٍ وعودةٍ ∴ وأحمدُ في ليلِ الرياسةِ يسهرُ

١٣٤- يراقبُ سيرًا إذْ تسيرُ وإذْ ناتْ ∴ وإذْ قد دنتْ أحوالُ كلٍّ لتسبرَ (٢)

١٣٥- ومِنْ حِكَمِ المختارِ رِفقًا بحاملٍ بنُخصوصًا وأغراضًا فذا النظرُ موقرُ (٣)

١٣٦- وفي حالِ عُنفٍ قد تعودُ بهيمةٌ ∴ بنصفِ طريقٍ فالسعوبةُ تظهرُ

١٣٧- فلا الدربُ في ذي الحالِ قد تمَّ قطعُهُ ∴ وصاتَ ركوبٌ فالأمورُ تحيرُ (٤)

١٣٨- وأنتَ إذا فكَّرتَ في الدرصافةُ ∴ ترى بعضَهُ مِنْ ذي التجاربِ يعصرُ (٥)

---

(١) توقر: يوضعُ عليها حملٌ ثقيل.
(٢) تسبر: تقاس بالمسبارِ وتوزن.
(٣) موقر: مُثقل.
(٤) ركوب، بفتحِ الراء: مركوب.
(٥) يعصر: يُستنتج.

١٣٩- وأحمدُ مِنْ تِلكَ التِّجارةِ كَسْبُهُ ، كَبيرٌ ولَيْسَ المالُ مِمَّا يُحَقَّرُ

١٤٠- وأعْظَمُ مِن مالٍ تِجارِبُ تُكْثِرُ ، مع النَّاسِ إذْ إنَّ التِّجارِبَ تَصْهَرُ

١٤١- وأحمدُ خَيْرُ الخَلْقِ رَبَّاهُ رَبُّهُ ، على عَيْنِهِ واللهُ رَبُّكَ أكْبَرُ

١٤٢- وإنَّ الَّذي مَوْلاكَ نَقَّرَ قَلْبَهُ ، تَراهُ بِأمْرٍ دائِماً يَتَفَكَّرُ

١٤٣- ومَوْلاكَ مَنْ قَدْ دَبَّرَ الكَوْنَ كُلَّهُ ، وهُيِّئَ لِكَ هذا لِكُلِّ مَنْ يَتَدَبَّرُ

١٤٤- وقد مَيَّزَ الإنْسانَ بالعَقْلِ خَصَّهُ ، وبالعَقْلِ أنْواعُ الأُمورِ تُقَدَّرُ

١٤٥- ومَيَّزَهُ مَوْلاهُ إذْ يَتَخَيَّرُ ، بإرادَتِهِ تِلكَ الَّتي تَتَخَيَّرُ

١٤٦- تَعاوُنُ عَقْلٍ والإرادَةِ ضابِطٌ ، لِشَخْصٍ وَقُورٍ أوْ إذا يَتَهَوَّرُ

١٤٧- لَقَدْ بَيَّنَ الرَّحمنُ دَرْبَ سَعادَةٍ ، ودَرْبَ شَقاءٍ ثُمَّ أمْنَةَ مُخَيَّرُ

١٤٨- وإنَّكَ مَسْئولٌ عَنِ الخَيْرِ جُمْلَةً ، أوِ الشَّرِّ كُلٌّ في كِتابٍ مُسَطَّرُ

١٤٩- وما عَذَّبَ الرَّحمنُ قَبْلَ رِسالَةٍ ، تَجيءُ وهذا وَحْيُ رَبِّكَ يُفْتَرُ (١)

---

(١) يفتر : يتأخر طويلاً بعد عيسى عليه السلام .

١٥٠- وقد صفّاهُ الرحمنُ طهَ لكي يُرى ، نبيّاً بهِ ختمُ النبوّةِ يظهرُ

١٥١- ويحتاجُ طهَ بيتُ حبٍّ يضمّهُ ، ويحتاجُ زوجاً مثلَ أمٍّ تُقدّرُ

١٥٢- وقد صفّاهُ الرحمنُ ذيتَ كلّهُ ، لطهَ وربُّ العرشِ ذاتَ المدبّرُ

١٥٣- ولمّا أتى البطحاءَ طهَ فإنّهُ ، يدبّرُ أمرَ العيرِ والخيرُ يكثرُ

١٥٤- وطافَ بسبعٍ البيتِ تلكَ تحيّةٌ ، وشكراً لربِّ البيتِ والعبدُ يشكرُ

١٥٥- ومن الوقتِ طهَ كانَ يدبّرُ أمرَهُ ، وذيتَ محتاجٌ لوقتٍ يقدّرُ

١٥٦- فهذا غلامٌ قد مضى لخديجةٍ ، وبشّرها بالصالحاتِ تسطّرُ

١٥٧- وأخبرها عن خُلقِ أحمدَ إنّهُ ، بحقٍّ هو الشخصُ الأمينُ المطهّرُ

١٥٨- لقدْ كانَ طهَ تاجراً أمانةٍ ، ومن أجلِ حفظِ الحقِّ قد كادَ ينحرُ (١)

١٥٩- تراهُ طوالَ الوقتِ حافظَ حرمةٍ ، لمالٍ زها والمالُ كالزرعِ يثمرُ (٢)

١٦٠- جميعُ الذي يأتيهِ طهَ لواضحٌ ، كما وضحتْ شمسٌ أو البدرُ يقمرُ

---

(١) قد كاد ينحر : أوشك أن يموت .

(٢) لها : لخديجة .

١٦١- وَمَيْسَرَةٌ حَقًّا أَمِينٌ وَصَادِقٌ ، جَمِيعُ الَّذِي قَدْ تَمَّ عَنْهُ يُخَبِّرُ

١٦٢- وَأَعْظَمُ مَا قَدْ رَاعَهُ ثَرَّ مَانَةٌ ، أَلَا إِنَّهَا فِي كُلِّ فَعْلٍ تَنَظَّرُ

١٦٣- عَلَى بِرِّ ضِيهِ طَهَ وَعِرْضِ عِبَادِهِ ، تَعَالَى أَمِينُ كُلَّ ذِي تَكْبُرُ

١٦٤- وَزَيْنُ شَبَابِ الْأَرْضِ طَهَ فَإِنَّهُ ، صَفَا الطُّهْرُ فِي كُلِّ الشَّبَابِ لَيَظْهَرُ

١٦٥- وَقَائِدُهُ أَخْلَاقُهُ وَهِيَ جَمَّةٌ ، أَلَا إِنَّهَا الْأَخْلَاقُ ذُرٌّ وَجَوْهَرُ

١٦٦- وَأَحْمَدُ فِي الْأَخْلَاقِ يَتْبَعُ جَدَّهُ ، أَلَا إِنَّ إِبْرَاهِيمَ فِي الْخُلْقِ مِنْبَرُ

١٦٧- وَقَدْ سَارَ فِي دَرْبٍ لَهُ حُنَفَاؤُهُ ، زَعِيمُهُمُ طَهَ الْأَمِينُ الْمُوَقَّرُ

١٦٨- لَقَدْ حَاوَلُوا إِنْقَاذَ صَرْحِ حَضَارَةٍ ، يُقَدِّمُهَا الْأَخْلَاقُ وَالدِّينُ يُؤْثِرُ

١٦٩- وَأَنَّى لَهُمْ هَذَا فَفِي الدَّرْبِ ظُلْمَةٌ ، وَمَنْ قَدْ مَضَوْا فِيهِ قَدِيمًا تَعَثَّرُوا

١٧٠- طَرِيقٌ بِإِنْقَاذِ هُوَ الْوَحْيُ وَحْدَهُ ، خَلِيقٌ بِهِ طَهَ الْأَمِينُ الْمُطَهَّرُ

٧٧ ٦٩,٨٥٧ ١٤٣٨/٩/٢٢

بنت مكة المثالية

١٧١- تجارب بنت الكل حقاً لتكثر ، وفيها زواج قبل طه يكرر (١)

١٧٢- خديجة قد نالت من المجد ما نالت من أصل مجدها ، وكانت بنت مجد أثيلاً يقدر

١٧٣- قريش بطاح بيتها من عمادها ، وإن قصياً جدها وهو أشهر

١٧٤- قصي جد المصطفى وخديجة ، وكل بهذا المجد قد بات يظفر (٢)

١٧٥- وفي آلها كان الثراء ستيتة ، وفيه أتاها حظها وهو أوفر

١٧٦- وقد ورثت زوجين قبل محمد ، وكل ثري ماله ليس يحصر

١٧٧- خديجة كانت في التجارة أشهرت ، وكانت مع التجار في السبق تظهر

١٧٨- تجوادها إن لم يفز جاء تالياً ، وبالفوز في كل الميادين أجدر

١٧٩- وإن مجال السبق لم يك قابعاً ، بمكة لكن بالميادين تكثر

١٨٠- وبعضها ميادين السباق قريبة ، وفي درب بعض ذي صحارى وأبحر (٣)

---

(١) انظر فتح الباري ٧/ ١٣٤ والسيرة النبوية ١/ ١٨٦

(٢) انظر فتح الباري ٧/ ١٣٤

(٣) أبحر : جمع بحر ، الماء الواسع الكثير .

١٨١- وَمِنْ أَجْلِ ذَا تَحْتَاجُ رَوْمًا مُمَثَّلًا ، يَنُوبُ إِذَا غَابَتْ وَلَمْ تَكُ تَحْضُرُ

١٨٢- وَأَكْثَرُ مَا تَحْتَاجُهُ حَالَ رِحْلَةٍ ، شِتَاءً وَصَيْفًا لِلْقَوَافِلِ تُبْحِرُ

١٨٣- إِذَا كَثُرَ التُّجَّارُ كَانَتْ تُؤَجَّرُ ، وَكَانَ يُكَلَّ جُعْلُهُ الْمُتَخَيَّرُ (١)

١٨٤- وَآخِرُ مَنْ كَانَتْ خَدِيجَةُ آجَرَتْ ، فَتَى مَكَّةَ الْغَرَّاءِ طَهَ الْمُطَهَّرُ (٢)

١٨٥- لَقَدْ سَمِعَتْ عَنْهُ الَّذِي كَانَ سَرَّهَا ، لَقَدْ كَانَ طَهَ بِالْأَمَانَةِ يُشْهَرُ (٣)

١٨٦- إِذَا صَادَقَتْ مُنْذُ الْبِدَايَةِ أَجْرَهُ ، وَكُلٌّ بِمَا قَدْ خَصَّهُ بَاتَ يُخْبَرُ

١٨٧- لَقَدْ بَارَكَ الرَّحْمَنُ جُهْدَ مُحَمَّدٍ ، بِرِحْلَتِهِ حَقًّا هُوَ النَّجْمُ يَزْهَرُ

١٨٨- لَقَدْ كَانَ فِي حَالِ الذَّهَابِ مُوَفَّقًا ، كَذَاكَ إِذَا فِي رِحْلَةٍ بَاتَ يُصْدِرُ (٤)

١٨٩- خَدِيجَةُ كَانَتْ سَاعَدَتْ بِغُلَامِهَا ، جَمِيعُ الَّذِي قَدْ كَانَ ثَمَّ لِيُبْصَرُ

١٩٠- وَمَيْسَرَةُ قَدْ كَانَ سُرَّ بِمَا رَأَى ، مِنْ طَهَ مَلَاكٌ أَمْ مِنَ النَّاسِ يُنْشَرُ

---

(١) تُؤَجَّرُ : تُسْتَأْجَرُ وَتُؤْجَرُ .
(٢) آجَرَتْ : اسْتَأْجَرَتْ .
(٣) يُشْهَرُ : يُعْلَنُ عَنْهُ وَيُذَاعُ .
(٤) يُصْدِرُ : يَرْجِعُ وَيَعُودُ .
(٥) مَيْسَرَةُ : اسْمُ غُلَامِ خَدِيجَةَ .

١٩١- وكانَ تَتَمَنَّى أَنْ يُبَشِّرَ سِتَّهُ : بِأَرْباحِ طَهَ مِنْ خَدِيجَةَ تَأْجُرُ (١)

١٩٢- ولَكِنَّ هذا يَسْتَطِيلُ لِبُعْدِها : ومِنْ أَجْلِ ذا فالشَّهْرُ في الحَقِّ أَشْهُرُ

١٩٣- وأَحْمَدُ لَمّا جاءَ قَدْ خَطَّ رَحْلَهُ : وَمَيْسَرَةٌ قَدْ جاءَ سِتَّا يُبَشِّرُ

١٩٤- يُخَبِّرُها ما قَدْ رَآهُ بِعَيْنِهِ : جَمِيعُ الَّذِي قالَ الصَّدُوقُ يُؤَثِّرُ

١٩٥- وطَهَ أَمِينٌ في الأُمُورِ جَمِيعِها : فَأَخْلاقُهُ الغَرّاءُ مِسْكٌ وعَنْبَرُ

١٩٦- ولا تَنْسَ أَنَّ السِّلْمَ أَرْضُ مَلاحَةٍ : ولَكِنَّ رَبَّ العَرْشِ ذاكَ المُصَبِّرُ

١٩٧- ومَنْ جاهَدُوا في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ : لَيَهْدِيهِمُ مَوْلاهُمُ مَنْ يُصَبِّرُ

١٩٨- بِأَخْلاقِهِ طَهَ لَيَكْسِبُ أُمَّةً : أَلا إِنَّما الأَخْلاقُ بِالخَيْرِ تَأْسِرُ

١٩٩- ومَيْسَرَةٌ مِنْ ضِمْنِ كَسْبِ مُحَمَّدٍ : أَلا إِنَّ تِيّارَ الأَمانَةِ يَنْهَرُ (٢)

٢٠٠- جَمِيعُ الَّذِي قالَ مَيْسَرَةُ الفَتَى : لَصِدْقٌ أَلا إِنَّ الأَمِينَ مُدَبِّرُ

٢٠١- أَلا إِنَّما الأَخْلاقُ تَفْعَلُ فِعْلَها : أَلا إِنَّما الأَخْلاقُ لِلسِّحْرِ تَسْحَرُ

---

(١) تأجر، بضم الجيم : تُعْطِيهِ أَجْرًا.

(٢) أي طول الشهر الواحد عدة شهور.

(٣) يَنْهَر : يشق طريقه.

٢٠٢ـ خَيْبَةٌ مِنْ صِدْقِ الْغُلامِ تَبَيَّنَتْ ، بِأَنَّ الَّذِي يُبْقِي الْغُلامُ لَأَكْثَرُ

٢٠٣ـ وَيُغْنِيكَ عَنْ طُولِ الْعِلاقَةِ قِطْعَةٌ ، تُحِيطُ بِجِيبٍ حِينَما تَتَدَوَّرُ (١)

٢٠٤ـ جَمِيعُ الَّذِي كَانَ الْغُلامُ أَتَى بِهِ ، يُوَافِقُ ذِكْرًا فِي الْأَنَامِ يُعَطَّرُ

٢٠٥ـ وَإِنَّ الَّذِي كَانَ الْغُلامُ أَتَى بِهِ ، لَيُشْبِهُ نَبْعَ الْمَاءِ لَا يَتَكَدَّرُ

٢٠٦ـ وَنَعْجَبُ إِذْ قَوْلُ الْغُلامِ مُطَابِقٌ ، لِمَا ذَاعَ عَنْ طَهَ الَّذِي يَتَطَهَّرُ

٢٠٧ـ وَأَصْدَقُ مَنْ يُعْطِيكَ سِيرَةَ صَاحِبٍ ، رَفِيقُ بِدَايٍ أَوْ إِذَا الرَّكْبُ هَجَّرُوا (٢)

٢٠٨ـ وَهَذَا غُلامٌ كَانَ ظِلَّ مُحَمَّدٍ ، لَدَى سَفَرٍ أَوْ حِينَمَا الدَّارُ تُعْمَرُ

٢٠٩ـ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْوَى فَيَتْرُكَ طَبْعَهُ ، أَلَا إِنَّ طَبْعَ الْإِنْسَانِ يَنْسَى وَيَذْكُرُ

٢١٠ـ وَهَذَا حَالُ نِسْيَانٍ لَيَصْدُقُ قَوْلُهُ ، أَلَا إِنَّ زَلَّاتِ اللِّسَانِ تُعَثِّرُ

٢١١ـ وَهَذَا حَالُ نِسْيَانٍ لَيَصْدُقُ فِعْلُهُ ، وَيَصْدُقُ ذُو بِرٍّ وَمَنْ بَاتَ يَفْجُرُ

٢١٢ـ وَمَنْ كَانَ ذَا بِرٍّ يَبُشُّكَ قَوْلُهُ ، وَفِعْلٌ إِذَا يَنْسَى إِذَا يَتَذَكَّرُ

---

(١) تَتَدَوَّرُ : تَتَّخِذُ شَكْلَ الدَّائِرَةِ .

(٢) الرَّكْبُ : الرَّاكِبُونَ عَلَى الدَّوَابِّ الْمُسَافِرُونَ : هَجَّرُوا : جَهَّزُوا وَقْتَ الْهَاجِرَةِ وَالْقَيْلُولَةِ .

٢١٣- وَمَنْ ذَا الَّذِي مِنَ الصِّدْقِ دَانَ مُحَمَّدًا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنَّهُ لَمُطَهَّرُ

٢١٤- خَدِيجَةُ ضَمَّتْ كُلَّ مَا كَانَ جَاءَهَا ... مِنَ الْخَيْرِ عَنْ طَهَ كَمَا خَمَّ رَفْتَرُ

٢١٥- وَصَاحِبَيَ فِي طَهَ الْأَمِينِ تَفَكُّرُ ... وَصَاحِبَيَ فِي أَمْرِيهِمَا تَتَدَبَّرُ

٢١٦- وَذَيْكَ فِعْلُ اللَّهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... عَلَى ذَاكَ رَبُّ الْعَرْشِ مَنْ كَانَ يَقْدِرُ

٢١٧- أَلَا كُلُّ قَلْبٍ رَبُّكَ اللَّهُ صَائِغٌ ... لَهُ رَائِمًا مِنْ ذَا الَّذِي ذَاكَ يُنْكِرُ

٢١٨- وَلَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ رَقَّاتِ قَلْبِهِ ... وَيَمْلِكُهَا الْمَوْلَى إِذَا شَاءَ يَقْهَرُ

٢١٩- وَلَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ مَيْلًا لِقَلْبِهِ ... وَلَوْ شَاءَ إِيمَانًا وَلَوْ شَاءَ يَكْفُرُ

٢٢٠- وَيَمْلِكُ رَبُّ الْعَرْشِ ذَيْكَ كُلَّهُ ... وَيَفْعَلُ قَلْبَ مَا بِهِ يَقْدُرُ(١)

٢٢١- وَهَذَا الَّذِي فِيهِ خَدِيجَةُ فَكَّرَتْ ... لِيَبْعُدَ عَنْ ذِهْنٍ لِطَهَ يُفَكِّرُ

٢٢٢- وَأَحْمَدُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شِرَاؤُهَا ... وَجَيْبُ أَمِينٍ مِنْ شِرَاءٍ لَمُقْفِرُ

٢٢٣- وَيَعْلَمُ طَهَ أَنَّ كُلَّ أُمُورِهَا ... لِيَفْضُلَهَا فِيهَا الْأَمِينُ الْمُؤَجَّرُ(٢)

---

(١) يَقْدُرُ: يَحْكُمُ بِهِ.

(٢) أَيْ يَفْضُلُ مُحَمَّدٌ خَدِيجَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّرَاءَ.

٢٢٤- ولكنْ بذاكَ العقلِ يُعرفُ وزنُهُ ∴ وفضائلُ العقلِ الكمالِ كثيرةٌ

٢٢٥- ألا إنَّ هذا الأمرَ يُقدَّرُ ∴ وشيءٌ كهذا مثلُهُ يُتقدَّرُ

٢٢٦- لقدْ شاءَ مولانا زواجًا مباركًا ∴ بهِ دينُ ربِّ العرشِ في الكونِ ينشرُ

٢٢٧- ألا إنَّ ربَّ العرشِ ذيكَ شاءَهُ ∴ ألا إنَّ ربَّ العرشِ ذاكَ المقدِّرُ

٢٢٨- ونحنُ إذا نزفُ لحالِ محمدٍ ∴ وحالِ زواجٍ فالعقيلةُ أجدرُ

٢٢٩- محمدُ المختارُ يحتاجُ زوجةً ∴ تعاونُهُ في الحالِ إذْ يتطوَّرُ

٢٣٠- وذيكَ حالٌ فيهِ بالعقلِ دورُهُ ∴ خديجةُ مِنْ كلِّ النساءِ تُؤثَّرُ

٢٣١- ألا إنَّها في الأربعينَ فعقلُها ∴ يجيءُ كمالَ الأربعينَ لينذرُ

٢٣٢- وذيكَ عُمرٌ كانَ قُرِّبَ عقلُها ∴ لرفعةِ شخصٍ بالنبوَّةِ يجدرُ

٢٣٣- ألا إنَّ طهَ ستوفَ تلقاهُ شدَّةٌ ∴ ينوءُ بها ثورٌ وما هوَ أكبرُ (١)

---

(١) زواج، بفتح الزاي: اقتران الزوج بالزوجة.
(٢) ينوء بها: يقال: ينوء بحمله: ينهض به مثقلاً.
وثور، بلفظ الثور، فحل البقر: اسم جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم في الهجرة. معجم البلدان ٢/٨٦

٢٣٤- وأحمدُ مُحتاجٌ لِعَوْنٍ عَقيلَةٍ .. وأُمٌّ بَنيهِ إنَّ كُلاًّ لَأَزْهَرُ

٢٣٥- خَديجَةُ قد قامَتْ بِدورٍ رَفيقَةٍ .. وأُمٌّ وكُلٌّ مِنْ عَقيلَةَ يَصْدُرُ

٢٣٦- ويَلْزَمُ طَهَ أنْ يَجيءَ عَقيلَةً .. لِتَبْيينِ ما في رِحْلَةِ الشّامِ يَخْبُرُ (١)

٢٣٧- كَعادَتِهِ طَهَ يَجيءُ عَقيلَةً .. وطَهَ لِرَبِّ العَرْشِ دَوْمًا لَيَشْكُرُ

٢٣٨- وطَهَ كُلُّ الإنسانِ جاءَ عَقيلَةً .. وبالعَيْنِ في أرْضٍ دَوامًا لَيَنْظُرُ

٢٣٩- سِوَى الوَقْتِ فيهِ العَيْنُ لا وَقْتَ عَقيلَةً .. أوِ الحالِ فيهِ العَيْنُ يَلْزَمُ تُبْصِرُ

٢٤٠- ونَظْرَتُهُ نَحْوَ العَقيلَةِ قَصْدُها .. تُضيفُ بَيانًا لِلْحَقائِقِ تُذْكَرُ

٢٤١- وإنْ نَظَرَتْ نَحْوَ الأَمينِ عَقيلَةٌ .. فَمَقْصِدُها أعْماقُ أحمدَ تَسْبُرُ (٢)

٢٤٢- تُقارِنُ بَيْنَ الشَّخْصِ قد زارَ شَخْصُهُ .. وما قيلَ عَنْهُ ذاكَ دُرٌّ وجَوْهَرُ

٢٤٣- ونَظْرَةُ كُلٍّ بِالفَضيلَةِ غُلِّفَتْ .. وكُلٌّ بِأَثْوابِ الفَضيلَةِ يُسْتَرُ

٢٤٤- ونَظْرَتُهُ كانَتْ هِيَ البَرْقَ خاطِفًا .. ونَظْرَتُها بَرْقٌ إذا يَتَكَرَّرُ

---

(١) يَخْبُر: بضمّ الرّاء: يصير به خبيرًا عن تجربة.

(٢) تَسْبُر: بضمّ الباء: تقيس أغوارَه وأعماقه بِرَاستها.

٢٤٥ - بحالي رجاء ذي الأماني تقدم ، وفي حال يأس ذي الأماني تؤخر

٢٤٦ - ولم يك بين النظرتين تطابق ، مخافة فضل عنده لا يقدر (١)

٢٤٧ - ونظرة طه بالأمور لسهلة ، فلم يك أصلا في زواج يفكر

٢٤٨ - فكيف بست الآل صنو ذاعها ، لقد رفضت كل الرجال فتعذر

٢٤٩ - وكل تمنى ذي العقيلة زوجة ، ولكنها العنقاء في الوهم تحضر

٢٥٠ - فسبحان من قد بدل الحال إنها ، لترضى بطه زوجها يتطهر

٢٥١ - ألا إنما ست الآل ذاك قرارها ، ولكن طه بالقرار يقرر

٢٥٢ - ألا إنه التاريخ يكتب دائما ، عن الظلم قد نالته دعد وعنبر (٢)

٢٥٣ - وذي صفحة سوداء من حق قومنا ، وأسوأ من ذا السوء ما ليس ينكر (٣)

٢٥٤ - وقد أهمل التاريخ أشرق صفحة ، وأشرقها لما الصحائف تنشر

٢٥٥ - وذي صفحة كانت خديجة حبرت ، وأعظم بما كانت تنول تخبر

---

(١) عنده : عند محمد .

(٢) دعد وعنبر : اسمان لامرأتين .

(٣) مثل وأد البنات .

٢٥٦- وَيَلْزَمُ ذَا التَّأْخِيرَ إِبْدَاءُ عُذْرِهِ ... بِإِبْدَاءِ عُذْرٍ وَحْدَهُ سَوْفَ يُعْذَرُ (١)

٢٥٧- أَتُهْمِلُ يَا تَأْخِيرُ أَشْرَفَ صَفْقَةٍ ... تُخَيِّرُهَا حَوَّاءُ هَذَا الدَّهْرَ يَغْبُنُ (٢)

٢٥٨- خَدِيجَةُ مَنْ قَدْ خَبَّرَتْ خَيْرَ صَفْقَةٍ ... بِهَا أَصْبَحَتْ زَوْجَا لَطَهَ تُقَدِّرُ

٢٥٩- خَدِيجَةُ مَنْ قَدْ جَنَّدَتْ خَيْرَ سِرِّهَا ... وَشِدْقُ كُلٍّ فِي الْحَقِيقَةِ أَحْمَرُ (٣)

٢٦٠- بِإِقْنَاعِ خَيْرِ الْخَلْقِ طَهَ بِزَوْجَةٍ ... هِيَ الثَّمْنُ لَمَّا بِالْقَدَبَاتِ يُؤْخَرُ (٤)

٢٦١- خَدِيجَةُ مَنْ كَوَّنَ بِهَا الْوَعْدَ وَظَّفَتْ ... جَمِيعَ الَّذِي فِي الدَّهْرِ تَحْبَى وَتُخْبَرُ (٥)

٢٦٢- وَأَقْوَلُ خَيْرٍ وَظَّفَتْهُ ذَكَاؤُهَا ... أَلَا ذَا ذَكَاءُ قَصْدَ خَيْرٍ يُسَخَّرُ

٢٦٣- أَمِنْ ضَيْقَاتٍ تَرْهَا الْعَوْفُ ضَمَّطُ ... وَكُلٌّ هِيَ الْعَيْنُ الَّتِي ضَمَّ مُحْجِرُ (٦)

---

(١) باعتذار الدهر عن صفوته بالسكوت عن مجد خديجة نعذره ونسامحه.

(٢) يغبن، بضم الباء: يمضي.

(٣) الشدق: جانب الفم مما تحت الخد. أحمر: لفقد الأسنان تظهر اللثة الحمراء. واللثة، بكسر اللام وفتح الثاء غير المشددة: ما حول الأسنان من اللحم.

(٤) يؤخر: يخبأ لوقت الحاجة.

(٥) تحبى: تعطى. تخبر: ما تستر به.

(٦) محجر، بكسر الجيم: ما أحاط بالعين.

٢٦٤- وكلٌّ هي التقلبُ الذي نبضتْ بهِ ، وكلٌّ لعينٍ حينما هي تبصرُ

٢٦٥- وكلٌّ بحقٍّ كان في سنابكِ شعرُها ، أم إنَّ كلاًّ في الحياةِ تُعمَّرُ

٢٦٦- وما بانَ مِنَّا كلُّ العقيلاتِ شعرةٌ ، أم إنَّ كلاًّ للأمينِ تُقدَّرُ

٢٦٧- أم إنَّ كلاًّ تعقصُ الشعرَ كلَّهُ ، وذابتْ شعورٌ حولَ رأسٍ يُدقَّرُ (١)

٢٦٨- وذابتْ زيَّ العقيلاتِ دائماً ، وكلٌّ بعمرٍ إنَّما هي تكبرُ (٢)

٢٦٩- وكلٌّ بخيرٍ دائماً تتقدَّمُ ، وكلٌّ بصافي ثوبِها تتستَّرُ (٣)

٢٧٠- وكلٌّ لديها في النجابِ بسيرةٌ ، وتغمرُ في كلِّ الأماكنِ تنشرُ

٢٧١- فكيفَ إذا ما الخيرُ مسَّ خديكةً ، ومسَّ أميناً ذا بحقٍّ تؤطَّرُ

٢٧٢- خديكةُ كانتْ بيقنتْ ما بقلبِها ، بأنْ تبنيَ العشَّ الذي يتطهَّرُ

٢٧٣- وأعظمُ صنفٍ كلِّ الرجالِ محمدٌ ، خليقٌ بهِ لمَّا العقيلةُ تؤثرُ (٤)

---

(١) عقصت المرأة شعرها عقصًا ، أخذت كل خصلة منه فلويتها ، ثم عقدتها حتى يبقى فيها التواء ، ثم أرسلتها .

(٢) تكبر ، بفتح الباء : تتقدم بها السن .

(٣) صافي ثوبها : سابغ .

(٤) تؤثر : تفضل .

٢٧٤. وَأَعْظَمُ مَا أَوْصَتْ عَلَيْهِ خَدِيجَةُ ... كَرَامَتُهَا لَيْسَتْ بِحَالٍ لِتُهْدَرُ

٢٧٥. وَمَا رُوِّضَتْ فِيهِ رَوَامًا تَسَامُحٌ ... وَكُلُّ حَكِيمٍ لِلظُّرُوفِ يُقَدِّرُ

٢٧٦. وَأَعْظَمُ مَا فِي أَمْرِ نَيْلٍ قَبُولِهِ ... يَمَنُّ رَغِبَتْ زَوْجًا فَهَلْ تَتَفَكَّرُ

٢٧٧. فَتِي امْتَثَلَ الْوَفْدُ الْكَرِيمُ لِنُصْحِهَا ... أَلَا إِنَّهُ فِي كُلِّ خَطْوٍ لَيَحْذَرُ

٢٧٨. وَمَنْ جَاءَ طَلْحَةَ الْوَفْدُ بَاتَ يُفَكِّرُ ... يَقُولُ وَمَا يَنْوِي بِهِ هَذَا الْمُوَقَّرُ

٢٧٩. يَقُولُ أَجَاءَ الْوَفْدُ مِنْ أَجْلِ خِطْبَةٍ ... وَلَكِنْ بِدَا وَفْدًا يَقُومُ الْمُذَكَّرُ (١)

٢٨٠. وَلَيْسَ هُنَا شَيْءٌ سِوَاهَا يَهُمُّنِي ... وَمَنْ لِي بِهَذَا الْوَفْدِ بَاتَ يُحَذِّرُ (٢)

٢٨١. نَعَمْ إِنَّنِي أَحْتَاجُ ذَا الْوَقْتَ زَوْجَةً ... وَأَيُّ كَرِيمٍ لِي بِوَقْفٍ تُصَدِّرُ

٢٨٢. بِذِي صِينِ آصِينٍ ذِي بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ ... تَمُرُّ وَلَا تَأْتِي الْعَقِيلَةُ تَظْهَرُ

٢٨٣. خَدِيجَةُ مَا مَرَّتْ بِذِي صِينِ مُحْمِدٍ ... فَتًى رِيخُهَا فِي رَفْضِ زَوْجٍ لَأَشْهَرُ

٢٨٤. جَمِيعُ بُيُوتِ الْأَكْرَمِينَ تَزُورُهُ ... تَعُودُ لِفَقْرٍ بَلْ لَقَدْ جَيْبُ أَفْقَرُ (٣)

---

(١) خِطْبَة، بكسر الخاء وسكون الطاء طلب يد الزوجة.

(٢) أي لَيْتَنِي أعرف الذي بعث بوفد النساء الذي يتحدث عن الخِطْبَة.

(٣) تزور: تزور، محمد أ إذا يفكر عن الزواج. تعود: تنصرف.

٢٨٥- وليس لقارطة سوى شأن خطبة ... يفكر فيه إن لطة مفكر

٢٨٦- ومنذ تفقدت أولى النساء بكلمة ... تبين لطة ما به الحدس يظفر

٢٨٧- أر إنما الموضوع موضوع خطبة ... بهذا يقول الحال إذ يتدبر

٢٨٨- وتزعم وفده بينه ما يقوله ... أر إن هذا مشهد ومدبر

٢٨٩- بنور مليك العرش أحمد ينظر ... ويدرك ما كل من الزهر ينثر

٢٩٠- كأن أميناً صاغ ديك كلله ... بحدس يرى لطة الذي ليس ينظر

٢٩١- وقد غابت عن لطة العقيلة قدرتي ... ترى العوف إذ بالإيماءات يؤشر

٢٩٢- خديجة قد مرت ببال محمد ... ولكنها ضمن العقيلات تمرر (١)

٢٩٣- ومن عجب ذكر العقيلة دائماً ... تجيء ولكن دائماً يتأطر

٢٩٤- بباعث إكبار يجيء وعطره ... يفوح وإن لم يأت بالبعد يأمر

٢٩٥- وليس يريح المرء يوماً كيأسه ... يقول بهذا كل من يتفكر

---

(١) أي مرت فديجة ببال محمد مرًّا عابرًا حينما استعرض محمد البيوتات.

٢٩٦- وهذا الذي طه الأمين يجيئه ... ألا إن فقر الجيب قيد يقشره

٢٩٧- وأحمد أعطى الحق من إذن بيوتهم ... فتوقرت وبيت بالعقيلة يخطر (١)

٢٩٨- ولكن رب العرش قد شاء غيره ... ألا إن رب العرش ذاك المقدر

٢٩٩- لقد شاء رب العرش بيت عقيلة ... يكون لها حينما يتقشره

٣٠٠- وذيت فعل الله لا رب غيره ... جميع الذي يجري بلوح يسطر

٣٠١- وما جاء ذاك الوفد طه بزحفه ... ألا إن ذاك الزحف لا شك أخطر (٢)

٣٠٢- ألا إن هذا الزحف زحف مقدس ... يجيء حمى الست التي هي تظهر

٣٠٣- لكل من الوفد الكريم رسالة ... لينظم عقدا من ثناء يعطر

٣٠٤- فتلك إلى طهر العقيلة أومأت ... وكل من الزوجين قبل ليقبر

٣٠٥- وقد رغضت كل الرجال تقدموا ... لخطبتها والزهد فيها ليؤثر (٣)

٣٠٦- ألا إن شخصا واحدا يستحقها ... ألا إن هذا الشخص بالفضل أجدر

---

(١) أي تخيل طه كل البيوت الكريمة التي تخطبه إلى بيت خديجة.

(٢) زحف وفد النساء إلى ذكر خديجة والزواج بها.

(٣) والزهد فيها: وزهدها.

٣٠٧ـ وعَنْ نَسَبٍ خَصَّ العَقِيلَةَ حَدِّثَنْ ، وعَنْ نَسَبِ الزَّوْجِ الَّذِي تَتَخَيَّرُ

٣٠٨ـ قُصَيَّتُ لَجَّ بِالعَظِيمَيْنِ حِينَما ، نُشِيرُ إِلَى خَيْرِ البُيُوتِ تُوَقَّرُ

٣٠٩ـ قُرَيْشٌ بِطَاحٍ خَيْرُ مَنْ وَطِيَ الثَّرَى ، وَصَنْوٌ وَصَيٌّ مِنْ البُيُوتَاتِ يَجْهَرُ (١)

٣١٠ـ وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ العَقِيلَةَ حَقُّهَا ، تُزَفُّ إِلَى خَيْرِ الرِّجَالِ نُقَدِّرُ

٣١١ـ وَنَحْنُ نُبِينُ الرَّأْيَ قَدْ ذَاعَ بَيْنَنَا ، وَنَسْتَبِقُ الخَيْرَاتِ لَسْنَا نُقَصِّرُ

٣١٢ـ هُنَا بَيْتُ شَمْطَاءٍ أَنَّ عَقِيلَةً ، لَقَدْ رَفَضَتْ كُثْرًا وَلَا تَتَكَبَّرُ (٢)

٣١٣ـ هُنَا بَيْتُ عَفْرَاءٍ أَنَّ مُرَشَّحًا ، لَهَا اليَوْمَ زَوْجًا لَيْسَ مَنْ يَتَكَرَّرُ (٣)

٣١٤ـ وَأَحْسِبُهَا أَوْ قَدْ تَقَدَّمَ خَاطِبًا ، تُبِينُ قَبُولًا وَالمُهَيْمِنُ تَشْكُرُ

٣١٥ـ هُنَا بَيْتُ زَهْرَاءٍ أَنَّ عَقِيلَةً ، سَتَرْضَى الَّذِي تَخْتَارُ لَوْ كَانَ يَفْقِرُ

٣١٦ـ وَنَحْنُ هُنَا جِئْنَا لِنَرْسِمَ صُحْبَةً ، وَنَبْنِي جِسْرًا لِلَّذِي سَوْفَ يَجْسُرُ

---

(١) بيوتات جمع بُيُوت . وبيوت جمع بيت . فَبُيوتات جمع الجمع . ويغلب على بيوت الشَّرَف . يجهر البصر : يَتَيَّره لعظمته .

(٢) الشَّمطاء : المرأة المختلط سوادُ شعرها ببياضه . ورفض خديجة الأزواج ليس بباعث الكِبْر ، بل بباعث عِزَّة النَّفس .

(٣) شمطاء ، وعفراء ، وزهراء أسماءٌ متخيَّلة .

٣١٧- بَقِيَّ أَنْ نُبَيِّنَ الْقَوْلَ عَنْ أَمِينِنَا ، بِأَخْلَاقِهِ عَنْ كُلِّ مَعْنًى نُعَبِّرُ

٣١٨- وَأَدْرَكَ طَهَ أَنَّهُ الشَّخْصُ يُقْصَدُ ، فَأَتَى بِعَقِيلَاتِ الْبُيُوتَاتِ يَمْهَرُ(١)

٣١٩- وَأَدْرَكَ وَفْدٌ بَعْدَ طُولِ حَدِيثِهِ ، بِأَنَّ سُؤَالَ الْأَمِينِ سَيَجْبُرُ

٣٢٠- أَمَا آنَ لِلشَّخْصِ الْأَمِينِ يُفَكِّرُ ، لِيَبْنِيَ بَيْتَ الطُّهْرِ بِالزَّوْجِ تَظْهَرُ

٣٢١- وَطَهَ يُجِيبُ الْوَفْدَ رَبِّي يُقَدِّرُ ، لِيَ الْخَيْرَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ أُدَبِّرُ

٣٢٢- إِذَا شَاءَ رَبِّي سَوْفَ أَخْطُبُ زَوْجَتِي ، وَأَحْسِبُنِي فِي خِطْبَتِي أَتَأَخَّرُ

٣٢٣- وَمِنْ أَجْلِ مَاذَا يَا أَمِينُ التَّأَخُّرُ ، أَمَا إِنَّ هَذَا الْوَفْدَ فِيكَ يُفَكِّرُ

٣٢٤- أَمَا إِنَّ هَذَا الْوَفْدَ جَاءَ لِعَوْنِكُمْ ، وَمَا كُلُّ بَيْتٍ عَيْنُهُ لَكَ تَنْظُرُ

٣٢٥- وَنَحْنُ لَدَيْنَا سِتُّ مَكَّةَ كُلُّهَا ، نُرَشِّحُهَا كُلٌّ بِزَوْجٍ تَأَجَّدُ

٣٢٦- وَنَحْسِبُهَا فِي الْمَالِ لَيْسَتْ تُفَكِّرُ ، وَلَكِنْ بِشَخْصٍ دَائِمًا هُوَ أَطْهَرُ

٣٢٧- وَعَنْ نَفْسِهِ قَدْ قَالَ تِلْكَ نُعُوتُهَا ، بِطَاهِرَةٍ تِلْكَ النُّعُوتُ لَتُزْهِرُ(٢)

---

(١) يَمْهَرُ بِفَتْحِ الْهَاءِ : يَدْفَعُ لَهَا الْمَهْرَ.

(٢) كَانَتْ خَدِيجَةُ تُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ الطَّاهِرَةَ. تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ ٢/٣٤٢ وَالْإِصَابَةُ ٤/٢٨١

٣٢٨- وتسألُ طلحةُ الوفدَ أيَّ عقيلةٍ ، تريدونها زوجًا بها الدهرَ أفخرُ

٣٢٩- أجبنَ الأبيِّ بنتُ مكةَ كلِّها ، خديجةُ منْ أمجادُها الدهرَ تبهرُ

٣٣٠- إذا ستألوا منْ بنتُ مكةَ كلِّها ، ستُثنى لكلِّ يُذعنَ لستِّ خِضِمِّ (١)

٣٣١- جوابُ الرسولِ منْ قد ذكرتُنَّ نجمةٌ ، وصنْ قد دنا منها بها يتأثرُ (٢)

٣٣٢- فقلنَ ولكنْ نحنُ نرتاءُ بعضَ ما ، تقولُ علينا لنقدرُ

٣٣٣- فجيءَ الذي تحتاجُ منكَ لفظةً ، تقولُ نعمْ إنا لذاكَ نقدرُ

٣٣٤- فقالَ نعمْ جبرا إلى الخاطرِ نسوةٍ ، وقولُ نعمْ في ظنهِ لا يؤثرُ

٣٣٥- فإنْ كانَ ما تمنحُ الذي قالَ نسوةٌ ، فإنَّ بفضلِ اللهِ دومًا لأشكرُ

٣٣٦- وإنْ كانتِ الأخرى فإنيَ واثقٌ ، على العدلِ منْ ربِّ الأنامِ لأصبرُ

---

(١) خِضِم ، بكسر الخاء والضاد : الإصبع الصغرى . مؤنثة .
(٢) النجم : مولد للطاقة وتحرق .

زَوْجَةٌ مِثَالِيَّةٌ

٣٣٧- خَدِيجَةُ بَاتَتْ فِي الأَمِينِ تُفَكِّرُ ... بِأَخْلَاقِهِ تِلْكَ الَّتِي تَتَطَهَّرُ

٣٣٨- وَذِيكَ فِعْلُ اللهِ رَبِّ غَيُورُهُ ... لَقَدْ شَاءَ بِالإِسْلَامِ فِي الكَوْنِ يُنْشَرُ

٣٣٩- بِكُلِّ مَكَانٍ دَبَّ شِرْكٌ كَآفَةٍ ... وَلَمْ يَنْجُ بَيْتُ اللهِ فَالشِّرْكُ يَعْمُرُ

٣٤٠- وَمِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ فِي البَيْتِ نَبْغُوا ... بِأَمْرِ مَلِيكِ العَرْشِ ذَا البَيْتُ يُعْمَرُ

٣٤١- لَقَدْ صَبَّ إِبْرَاهِيمُ لِلبَيْتِ يَعْمُرُ ... بِمَكَّةَ حَيْثُ المَاءُ ثَمَّةَ يَنْدُرُ

٣٤٢- وَعَاقَبَهُ بِكْرٌ حَلِيمٌ وَعَالِمٌ ... وَذِيكَ إِسْمَاعِيلُ فِي الحِجْرِ يَكْبَرُ (١)

٣٤٣- بِمَكَّةَ هَذَا البَيْتُ يُبْنَى وَإِنَّهُ ... لَأَوَّلُ بَيْتٍ لِلعِبَادَةِ يُظْهَرُ

٣٤٤- عَلَى مِلَّةِ الإِسْلَامِ ذَا البَيْتُ يُنْبَنَى ... وَكَانَ بِإِسْلَامٍ خَلِيلٌ يُبَشِّرُ

٣٤٥- حَنِيفِيَّةً كَانَ الخَلِيلُ أَتَى بِهَا ... بِتَوْحِيدِ رَبِّ العَرْشِ فِي الكَوْنِ تُشْهَرُ

٣٤٦- بِإِسْلَامِ وَجْهٍ لِلمَلِيكِ تُبَشِّرُ ... جَمِيعُ رِسَالَاتِ الهُدَى وَتُعَطَّرُ

---

(١) إسماعيل عليه السلام بِكْرُ إبراهيم عليه السلام ووصفه القرآن الكريم بأنه حليم الصافات ١٠١ وبأنه عليم الذاريات ٢٨ وحجر الكعبة مرتع إسماعيل وهو صغير.

٣٤٧. وكانَ خَليلُ اللهِ جاءَ بِمِلَّةٍ ، حَنيفيَّةٍ مِنْ كُلِّ شِرْكٍ تُنَفِّرُ

٣٤٨. وتِلْكَ تَعُودُ إلى التَّوْحيدِ فاللهُ واحِدٌ ، لَهُ الخَلْقُ بالتَّوْحيدِ لِلْعَبْدِ يَأْمُرُ

٣٤٩. وإذْ طالَ عَهْدُ بالحَنيفيَّةِ غُيِّرَتْ ، مَعالِمُها فالدِّينُ لِلْحَقِّ يَعْسُرُ

٣٥٠. ومَنْ حاوَلُوا إرْجاعَها لِنَقائِها ، فَكُلُّ جُهودٍ مِنْهُمُ تَتَعَثَّرُ

٣٥١. وذاكَ بِأَنَّ الوَحْيَ مَصْدَرُها لِذا ، تَعُودُ بِوَحْيٍ حينَما اللهُ يُقْدِرُ (١)

٣٥٢. وشاءَ مَليكُ العَرْشِ عَوْدَ حَنيفَةٍ ، بِإرْسالِ طَهَ مَنْ لَهُ يَتَخَيَّرُ

٣٥٣. وأحمدُ خَيْرُ الخَلْقِ مَوْلِدُهُ يَضْطَفي ، بِإرْسالِهِ بالدِّينِ كالشَّمْسِ تَجْهَرُ

٣٥٤. وصَيَّأَ رَبِّي العَرْشِ أَسْبابَ بِعْثَةٍ ، لِأحمدَ بالإسْلامِ يَأْتي ويَظْهَرُ

٣٥٥. ومِنْ جُمْلَةِ الأسْبابِ أَعْظَمُ زَوْجَةٍ ، بِها أحمدُ المُخْتارُ يُعْنى ويُجْبَرُ (٢)

٣٥٦. وأحمدُ خَيْرُ الخَلْقِ بَيَّنَ قَدْرَها ، بِدُنْيا وفي الجَنّاتِ إذْ تَتَبَخْتَرُ

٣٥٧. خَديجَةُ تَعْلو كُلَّ نِسْوَةِ أُمَّةٍ ، لِخِدْمَتِها الإسْلامَ رَبُّكَ يُؤْثِرُ

(١) حينما الله تعالى يَقْدِرُ ويشاء ويَقْضِي.

(٢) يُجْبَرُ : يُعْطَى ويُمْنَحُ ويُنْتَقى. يجبر: يُيَسِّرُ ويَنْعَمُ.

٣٥٨ وأنت إذا تنعوت لخديجة ، تترى أنها بين النساء لؤلؤة

٣٥٩ محمد المختار يحتاج زوجة ، وحيضنا وأما بالحنان تعبئة

٣٦٠ وتلك نعوت في خديجة وحدها ، تبين وهذا النبع لا يتأثر

٣٦١ وتعرف نبعا حين تغرف ماءه ، يجيش وهذا ما فؤه يتفجر (١)

٣٦٢ ألا إن رب العرش زان خديجة ، ألا إن رب العرش ذاك المقدر

٣٦٣ خديجة قد قامت بدور يخصها ، عليه بعون الله من كان يقدر

٣٦٤ بفضل مليك العرش ما احتاج زوجها ، لغير اتجار حيث أحمد يحضر

٣٦٥ فما كان محتاجا لتكرار رحلة ، بضيف ليشأ حيث قد سال كوثر

٣٦٦ وما كان محتاجا بإنشاء رحلة ، شتاة جنوبا للسعيدة تبهر (٢)

٣٦٧ وأرصد خلق الله طه فقلبه ، إلى غير ذي الدنيا ينام ويسهر

٣٦٨ ولكن بإصلاح الحنيفة إنها ، لملة جد نورها ليس ينصر (٣)

---

(١) يجيش الماء : يتدفق . أي يزيد النبع بكثرة أخذ الماء منه .

(٢) للسعيدة : لبلاد اليمن السعيدة .

(٣) الجد : إبراهيم عليه السلام .

٢٦٩- ومِنْ أَجْلِ هذا القَصْدِ يَخْلُو مُحَمَّدٌ ... بِكُلِّ مَكانٍ حَيْثُما يَتَفَكَّرُ

٢٧٠- بِبَيْتِ مَلِيكِ العَرْشِ طالَ التَّفَكُّرُ ... وفي بَيْتِهِ والغارِ طالَ التَّفَكُّرُ

٢٧١- وزَوَّجَتْهُ تَعْطِيهِ كامِلَ فُرْصَةٍ ... لِيَخْلُوَ طَهَ خَيْرُ مَنْ يَتَدَبَّرُ

٢٧٢- وتَعْلَمُ في الأَعْماقِ أَنَّ مُحَمَّداً ... سَيَأْتِيهِ مِنْ مَوْلاهُ خَيْرٌ ويُؤْثِرُ (١)

٢٧٣- ويَجْعَلُ طَهَ نَوْعَ خَيْرٍ يُصِيبُهُ ... فَكَيْفَ بِدِينٍ أَوْ كِتابٍ يُسَطَّرُ

٢٧٤- جَمِيعُ الَّذِي فِيهِ الأَمِينُ يُفَكِّرُ ... أَرَى إِنَّ فَضْلَ اللهِ مِنْهُ لأَكْبَرُ

٢٧٥- فَما كانَ يَدْرِي ما الكِتابُ وما الَّذِي ... يَجِيءُ مِنَ الإِيمانِ لِلْحَقِّ يُظْهِرُ

٢٧٦- وفَضْلُ مَلِيكِ العَرْشِ قَدْ كانَ جاءَهُ ... عَظِيمٌ وذاكَ الفَضْلُ في الذِّكْرِ يُذْكَرُ (٢)

٢٧٧- وطَهَ لَقَدْ أَعْطَى خَدِيجَةَ حَقَّها ... وأَعْطَتْهُ حَقّاً دائِماً يَتَذَكَّرُ

٢٧٨- وذَيْكَ فَضْلُ اللهِ لا رَبَّ غَيْرُهُ ... وأَعْطاهُ مِنْها النَّسْلَ إِذْ يَتَكَرَّرُ

٢٧٩- وكُلٌّ بَنِيهِ مِنْ ذُكُورٍ لَقَدْ قَضَوْا ... ويَبْقَى إِناثٌ وَجْهُ كُلٍّ لأَزْهَرُ (٣)

---

(١) يؤثر: يختص بالخير ويُفضّل.

(٢) الذكر: القرآن الكريم. سورة النساء، الآية رقم ١١٣

(٣) أزهر: أبيض مُشرق.

٢٨٠ - وفاطمةُ الزهراءُ سيدةُ نِسائِهِ ، وكانَ أبوها يُحِبُّ قلبَ ليُؤثِرَ
٢٨١ - على القلبِ طه ليسَ يملكُ سلطةً ، وميلُ القلبِ ربُّكَ اللهُ يغفرُ
٢٨٢ - وكلُّ ذنوبِ المصطفى اللهُ يغفرُ ، تقدَّمَ ذاكَ الذنبُ أو يأتي آخرُ
٢٨٣ - وصيَّأَ ربُّ العرشِ طه لنعمةٍ ، بأحمدَ بابُ النبوةِ يُمطرُ (١)
٢٨٤ - فليسَ تُرى من بعدِ طه نبوةٌ ، وختمُ لبابِ الرسالةِ أجدرُ
٢٨٥ - أو إنَّ باباً للرسالةِ واحدٌ ، وذيكَ بابٌ في النبوةِ يُحصرُ
٢٨٦ - وفي غلقِ بابِ النبوةِ غلقُهُ ، أصامَ رسولٍ هكذا العقلُ يُخبرُ
٢٨٧ - وأحمدُ خيرُ الخلقِ ذا تمُّ رُسلِهِ ، تعالى بذا بابُ النبوةِ يُحجرُ (٢)
٢٨٨ - وأعظمُ خلقِ اللهِ ذاكَ محمدٌ ، عليهِ صلاةُ اللهِ ما نارٌ تنيرُ
٢٨٩ - ويعلمُ ربُّ العرشِ مَن هوَ أجدرُ ، يكونُ نبياً أو هوَ الشخصُ يُمكرُ
٢٩٠ - ويختارُ ربُّ العرشِ شخصَ نبيِّهِ ، محمدٌ المختارُ ليسَ يُكرَّرُ

(١) يمطر : يختم ويوضع ختمٌ على باب النبوة .
(٢) يحجر بالقول : غلق باب النبوة الطريق الوحيد للرسالة غلق لباب الرسالة .

٢٩١ - وتشمخ ربّة العرش أفضل خلقه : ألا إنّ طه المصطفى المتطهّر

٢٩٢ - وتبصر في أولاه حسنى بزوجة : وحسناه في الأخرى جنان تقدّر (١)

٢٩٣ - خديجة حسناه بأولاه إنّه : ليعلن ذا دوما وما كان ينكر

٢٩٤ - ولم يتزوّج في حياة خديجة : وكان لها وفيّ وما هي تقبر

٢٩٥ - وقد حبّبت المولى برحمة خلوة : لأعماق هذا الكون أحمد يسبر (٣)

٢٩٦ - وما كان يخفى عن خديجة قصده : ألا إنه عن كلّ خير ينقّر (٤)

٢٩٧ - ولم تدر ما عنه الأمين ينقّر : ولكنّه في الغيب خير مقدّر

٢٩٨ - ويعلم طه بنته عن حنيفة : حنيفة إبراهيم بالوحي تحفه (٥)

٢٩٩ - خديجة كانت قد أزالت بحكمة : جميع صعاب في المسير تؤثّر

٤٠٠ - وكانت رجت طه يكون نبيّ من : أذاعوا سيأتي المصطفى المتخيّر

---

(١) تشمخ : تعلو.

(٢) تقدّر : تعطى حقّ قدرها.

(٣) يسبر : بضمّ الباء، يختبر، ويقيس الأعماق بمسبار يعرف الماء والجرح.

(٤) ينقّر : يبحث ويفتش.

(٥) الدين الحنيف : المستقيم الذي لا عوج فيه، وهو الإسلام وملّة الحنيفة.

٤٠١- وأحمدُ خيرُ عبدٍ العقيلةِ خيرُ مَنْ ... يُصدِّرُ مَحْضَ الخيرِ لا يتغيَّرُ

٤٠٢- وقد أكرمَ اللهُ العقيلةَ حينما ... أتاها مِنَ الأبناءِ دُرٌّ وجوهَرُ

٤٠٣- أما إنَّ ربَّ العرشِ خصَّ عقيلةً ... بأفضلِ ما كانتْ لهُ تتخيَّرُ

٤٠٤- وأكرمَها المولى بأفضلِ خَلْقِهِ ... فكانَ لها زوجاً لديهِ ستُكبَرُ

٤٠٥- خديجةُ قد كانتْ لأحمدَ زوجةً ... وأمّاً رَجاها حينما كانَ يُقهَرُ

٤٠٦- وأكرمَهُ المولى بها وقتَ حاجةٍ ... وحاجتُهُ للأمِّ إذ يتذثَّرُ (١)

٤٠٧- خديجةُ كانتْ خيرَ أمٍّ وزوجةٍ ... وليسَ على الطفلِ الحنانُ يُقصَّرُ

٤٠٨- وما الزوجُ إلّا الطفلُ عندَ عقيلةٍ ... بقدرِ بذلِ للحنانِ تقدِّرُ

٤٠٩- ألا كلُّ زوجٍ مِنْ عقيلةَ طِفلُها ... ألا كلُّ زوجٍ عندَ عقلةَ عنترُ

٤١٠- وأحمدُ خيرُ الخلقِ أعظمُ مَنْ مشى ... خديجةُ في دُنيا بها الأمُّ تشهرُ

٤١١- وقد أعطتِ المختارَ كلَّ حياتِها ... وباركَ ربُّ جُهدَ مَنْ لا يُقصِّرُ

(١) تبدو حاجة محمد لخديجة حينما يتدثر وتنزل عليه سورة المدثر.

٤١٢- يا أمة قد دام الجوع لخلوقة .. تطول لشهر أو من الشهر تقصر

٤١٣- وقد منحت تلك العقيلة زوجها .. جميع الذي في الجيب قد كان يدخر (١)

٤١٤- وكل رجال تحت أمر عقيلة .. لخلوقة طه إنها لتسخر

٤١٥- جميع الذي يحتاج طه بغاره .. وكل مكان فالعقيلة تحضر

٤١٦- وطه بحق كان أعظم زاهد .. ألا إن هذا الزهد في النفس أكبر (٢)

٤١٧- جميع الذي يحتاج ماء وكسرة .. ألا إنها جزء من الخبز يكسر (٣)

٤١٨- وحاجته للماء لا شك أكبر .. وليس قليل الخبز مما يحقر

٤١٩- وأكثر رسل من عقيلة كي يروا .. نبي أمينا دائما يتفكر

٤٢٠- يفكر في ذا الكون في بارىء له .. ألا إن هذا الكون رب يدبر

٤٢١- ويعلم طه أن ذا رب وصوله .. فهو الوحي يأتيه ومولاه أكبر

٤٢٢- جميع الذي يعنيه إخلاص دعوة .. لمعرفة من ربه الذي يتحير

---

(١) يدخر: يدّخر.

(٢) تكبر: بضم الباء: تعظم.

(٣) الكسرة: بكسر الكاف وسكون السين: القطعة المكسورة من الخبز.

٤٢٣ - وهذا الذي قد كان أحمد جاءه ∴ وإن حلوة المرء في المطعم السكر

٤٢٤ - ويشأل مولاه العظيم هداية ∴ هداية مولاه له ستحرز

٤٢٥ - أجاب مليك العرش دعوة عبده ∴ ومن مثل المولى الهداية تنضر

٤٢٦ - ومن مثل الرحمن إيواء عبده ∴ وكان يتيما مثله ليس يذكر

٤٢٧ - تواتر عليه أمه ثم جده ∴ وعمم وذا تاج العقيلة يبهر

٤٢٨ - ومن نعم الرحمن إغناء عبده ∴ بإغنائه بالمال طه ليشكر

٤٢٩ - وذي نعم من الذكر قد جاء ذكرها ∴ وطه على كل الصعاب ليصبر (١)

٤٣٠ - وفضل مليك العرش قد نال عبده ∴ عظيم وطه كل فضل يقدر

٤٣١ - وأعظم خلق الله أحمد إنه ∴ هو المصطفى العبد الذي يتخير

٤٣٢ - ولم يك في زمن الرهبى أتى آفة ∴ وصوذ وغدا رمن الوحش يغدر

٤٣٣ - جميع صنوف الشر صح تبيطا ∴ وليكنها من نفس أحمد تنفر

---

(١) سورة الضحى أومأت إلى هذه النعم.

٤٣٤ وَمَقْدُورَاتُ رَبِّ الْعَرْشِ صَانَ مُحَمَّداً .. فَلَمْ يَأْتِ بِالْمُخْتَارِ شَيْءٌ يُكَدِّرُ

٤٣٥ وَهَمَّتُهُ الْقُصْوَى إِحْيَاءُ مِلَّةِ جَدِّهِ .. وَفَضْلُ مَلِيكِ الْعَرْشِ حَقّاً لَأَكْبَرُ

٤٣٦ لَقَدْ شَاءَ رَبُّ الْعَرْشِ إِعْطَاءَ عَبْدِهِ .. مِنَ الْخَيْرِ مَا عَنْهُ الْخَيَالُ يَقْصُرُ

٤٣٧ بِدَايَةُ ذَاكَ الْخَيْرِ كَانَتْ تَمَثَّلَتْ .. بِخَمْسٍ مِنَ الْآيَاتِ بِالرُّوحِ تُحْضَرُ (١)

٤٣٨ وَكَانَتْ تَلُفُّهَا الْآنِينَ كَالسَّيْلِ قَدْ جَرَى .. وَذَيْلُ فِعْلِ السَّحْبِ بِالْمَاءِ يَقْطُرُ

٤٣٩ بِشَهْرٍ صِيَامٍ ذِي بِدَايَةِ وَحْيِهِ .. بِوَقْتِ ضُحَاءٍ حِينَمَا يَتَدَبَّرُ

٤٤٠ جَمِيعُ الَّذِي يَجْرِي تَفَضُّلُ مَلِيكِهِ .. بِوَقْتٍ وَفِي لَيْلٍ لَقَدْ كَانَ يَسْهَرُ

٤٤١ بِبِيضِ لَيَالٍ كَانَ أَحْمَدُ يَسْهَرُ .. وَبَيْتُ بَعْلٍ يَوْمَانِ وَالْبَدْرُ مُقْمِرُ (٢)

٤٤٢ بِمَكَّةَ فِي ذَا الْفَضْلِ يَبْدُو صَفَاؤُهَا .. وَفِي لَيْلِهَا ذَاتِ الضِّيَاءِ تُزْهِرُ

٤٤٣ بِبَاطِنِ غَارٍ فِي النَّهَارِ تَدَبُّرٌ .. وَخَارِجِ غَارٍ فِي الظَّلَامِ تَدَبُّرُ

---

(١) الرُّوح : جبريل عليه السلام .

(٢) اللَّيَالِي البِيضُ : ثلاث ليالٍ يطلع فيها القمر من أوّلها إلى آخرها . وهي ليالي ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة . وصيام أيام البيض الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر لسان العرب : « بيض »

٤٤٤ - وَفَضْلُ مَلِيكِ الْعَرْشِ يَشْمَلُ عَبْدَهُ ... إِذَا جَاءَ رُوحُ الْأَمِينِ يُبَشِّرُ

٤٤٥ - فَبُقْعَةُ نُورِ اللهِ بَعْضُ رَاحَةٍ ... صَبَاحًا وَذَاكَ الضَّوْءُ مِنْ كَوْنِهِ يُنْشَرُ

٤٤٦ - وَبُقْعَةُ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ فِي سَاعَةِ الضُّحَى ... وَذَيْكَ وَقْتٌ فِيهِ لِلذِّكْرِ مِنْبَرُ

٤٤٧ - يَجِيءُ لِطَهَ الرُّوحُ فِي خَيْرِ صُورَةٍ ... لَقَدْ طَابَ مِنْ رُوحٍ بِذَا الْوَقْتِ مَظْهَرُ

٤٤٨ - لَقَدْ جَاءَ جِبْرَائِيلُ مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ... وَهَيَّأَتْهُ بِالْخَيْرِ يَأْتِي تُخَبِّرُ

٤٤٩ - جَمِيعُ الَّذِي يَجْرِي لِرَحْمَةِ رَبِّنَا ... وَلُطْفُ بِطَهَ كُلُّ شَيْءٍ مُيَسَّرُ

٤٥٠ - وَأَصْعَبُ مَا طَهَ بِذَا الْغَارِ يَخْبُرُ ... لِقَاءُ جِبْرَائِيلَ بِالْوَحْيِ يُخْبِرُ

٤٥١ - أَلَا كُلُّ شَيْءٍ لِلْحَبِيبِ مُيَسَّرٌ ... أَلَا إِنَّ رَبَّ الْعَرْشِ ذَاكَ يُيَسِّرُ

٧ ، ١٤ ، ٣ / ١٠ / ١٤٣٨